- مادة : التاريخ الحضري

المبحث الأول:

يعرف التحضر بأنه عملية تركيز سكاني يتم بوسيلتين إما بزيادة عدد اماكن التجمع السكاني، أو نمو حجم التجمعات السكانية.

أجمع علماء الاجتماع وعلم البيئة الانسانية، على ان هذا التعريف البسيط هو أكثر التعريفات وضوحاً وبعداً عن الالتباس لانه يفرق بين عملية التحضر نفسها، وما قد يصحبها من آثار حضارية او ظروف تبعية.

وتشابه مع هذا الاصطلاح تعرف المدن بانها مراكز للتجمعات، وبتفاوت الحد الادنى لعدد وكثافة السكان التي تجعل من سكان ما مدينة، من دولة الى أخرى.

وقد استبعد الدريدج (ELdridge) التعريف الذي يقول بان التحضر عملية اشعاع للافكار والخبرات من مركز حضري الى المناطق المحيطة به، ذلك ان هذا التعريف يعني أن المدينة مصدراً للتحضر لانتيجة عملية التحضر ولا يعطي تفسير الشيء نفسه المدن.

+ كما استبعد تعريف آخر ينص على ان التحضر يعني زيادة مشاكل معينة وقتما تكون متصلة بالمعيشة في الحضر، ذلك ان هذا التعريف يخلط بين العلة والمعلول، أو السبب والنتيجة لانه ايضا يفترض وجود المدن قبل عملية التحضر واي تعريف يخلط بين مفهوم التحضر والمدينة، خاطئ لان عملية التحضر تبلغ ذروتها في المدينة

وعملية التحضر تحدث قبل وجود المدينة، وتستمر بعد قيامها... والتحضر ينبئ عن حركة انتقال للسكان، و

وقد تكون مستمرة، وقد تكون متقطعة من مكان أقل تركيزاً الى مكان أكثر تركيزاً في السكان.

وتعريف المدن، بانها اسلوب معين للحياة، واسلوب معين للتفكير ومجموعة من الخصائص وانواع معينة من المهن يشوبي بالدارس الى بعض الاختلاس العلمي، لان هذه الخصائص جميعها ليست ثابتة، وليست مقصورة على المدن، وقد نجد بعض هذه الخصائص في مجتمعات غير حضرية .... اي ان تعريف المدينة نفسه تابع لتعريف عملية التحضر وما يميز هذا التجمع السكاني من خصائص معينة.

ولما كان اي مجتمع انساني هو حصيلة تفاعل عوامل مختلفة، يؤثر بعضها على بعض، فانه يمكن القول ان عملية التحضر نفسها ناجمة عن تاثير التغير الاجتماعي على توزيع السكان داخل هذا المجتمع الانساني، ومن ثم فان المدخل الرئيسي لدراسة التحضر تكون بدراسة التوزيع السكاني في اي مجتمع، فالمدن لا تنمو تلقائيا الى الوجود وانما نتيجة للتزايد السكاني في المجتمع.

هناك عاملان ملازمان لعملية التحضر

اولاً: السكان

ثانيا: التكنولوجيا او التقدم العلمي:

وتمركز السكان هو نتاج انتقال العدد الفائض الذي يفيضه الريف الزراعية الى تجمعات حضرية بينما يمهد التقدم العلمي لعملية تركيز اعداد كبيرة من السكان في مكان ما، اي ان الزيادة السكانية والتقدم العلمي، عملية التحضر عوامل متلازمة يؤثر احدها على الاخر.

وان كان ليس هناك ما يمنع تحضر مجتمع ما.

دون بلوغ درجة كبيرة من الكثافة السكانية، أو قد تتقدم الدكتولوجيا دون أن يصحبها كثافة سكانية عالية.

هذا وتتفاوت تعريف مفهوم التحضر من دولة الى اخرى وتلخص الامم المتحدة في الكتاب السنوي الديمغرافي اس تفاوت المفاهيم بين الدول فيما يلي:

أ) يعرف مكان ما بأنه «حضري» في عدد كبير من الدول على اساس حجم معين للسكان المقيمين به، وقد يتفاوت الحد الادنى لعدد السكان، فمثلا نجد اي تجمع لسكاني يبلغ عدده (250) نسمة في الدانمرك يطلق عليه حضري، نجد ان هذا المسمى لا يطلق في كولومبيا الا على التجمع الذي لا يقل الحد الادنى لعدد سكانه عن (40,000 نسمة)، لكن عموما لا يتفاوت الحد الادنى المتفق عليه لتعريف تجمع انساني بانه حضري بين معظم الدول ويمثل هذا التفاوت غالبا ما يستعمل رقم 40,000 نسمة كحد ادنى.

ب) يعرف مكان ما بأنه «حضري» في بعض الدول على اساس ادائه وظائف ادارية، وحكومية، فمثلا يطلق على عاصمة المركز الادارية كلمة (حضر) اي يتوقف استعمال كلمة (حضر) على قيام مجتمع انساني معين باداءه وظائف إدارية مما يحتاج من اقسام ادارية بصرف النظر عن حجم السكاني.

ج) يعتمد التعريف الثالث «للحضر» على الجمع بين مجموعة من الخصائص، فقد يجمع بين كونه وظائف ادارية معينة مع وجود عدد معين من السكان او تحديد نسبة معينة لمن يعملون بالزراعة.

تاريخية التحضر:

ارتبط تاريخيا نشوء التجمعات الحضرية التي يطلق عليها اصطلاح [المدينة] بعدة عوامل رئيسية تتمثل:

1. الاستقرار السكاني في بعض المواقع التي تقع عادة عند ملتقى الطرق والمواصلات.
2. تحرر نسبة من السكان من العمل في الزراعة.
3. توفر مستوى تكنولوجي معين يعتمد على استعمال المعادن وبخاصة بدلا من الأدوات الحجرية.
4. نوع جديد من التنظيم والضبط الاجتماعي لم يعرفه من قبل المجتمع الزراعي.

ولقد ظهرت أول مرة هذا النوع من التجمعات حوالي ٣٥٠٠ ق.م قبل الميلاد، في وادي الفرات، وانتشر شرقا الى وادي الهندوس في الهند، وجنوب الصين وغربا عبر وادي النيل، والمعتقد نشوء هذه التجمعات على انتشار بعض الأساليب الفنية التي تساعد على زيادة الانتاج الزراعي في مجال الري واستخدام المحراث والعربة ذات العجلات، وعلى استعمال المعادن، ولكن هذه التجمعات الحضرية، أو المدن العالم القديم تختلف كل الاختلاف عن المدن التي نشأت فيما بعد، ذلك لأن مقدرتها على استيعاب اعداد من السكان كانت محدودة كما كان فائض الانتاج الزراعي عادة بالتالي محدوداً، وتقدر نسبة من لم يعملوا في الزراعة في تلك التجمعات الحضرية بما لا يزيد على ٤ أو ٥ ٪ من مجموع سكانها أو ٥ - ٨ ٪ على أقصى تقدير

وقد نشأت مدن بسواحل البحر الابيض المتوسط، في العام الالف قبل الميلاد المسيح، وكانت بداية المدن التجارية ومثال ذلك ميليتوس، وانتينا، والاسكندرية، وقرطاجة وسيراكيز، وكان في طاقة تلك المدن استيعاب اعداداً اكبر من السكان تتراوح بين ٢٥-٣٥ الف نسمة، بل بلغت في حالة او حالتين استثنائيتين ١٠٠.٠٠٠ نسمة ويعود ذلك اساساً كون المدن التجارية تحتاج في ان تعمر نسبة كبيرة من السكان من الاعتماد الرئيسي على الزراعة نتيجة لزيادة فائض الطعام، وبلغ التقدم الحضري ذروته في العالم القديم في الامبراطورية الرومانية وخاصة خلال القرون الثلاثة الاولى بعد الميلاد.

وبانتشار الامبراطورية الرومانية فتحت مجالات عديدة للتجارة، وتبعاً بالتالي حجم السلطة الادارية، مما أدى الى قيام مدن جديدة في حوض البحر الابيض المتوسط وفي مجاري المياه الداخلية، والمواقع الساحلية الهامة، وبلغ تعداد سكان العاصمة روما في ذلك الحين ٥٠٠.٠٠٠ نسمة، وللأسف لم يعط كتاب تاريخ اهتماماً موحداً لدراسة المدن في الفترات المبكرة، ومنها في العهد الروماني ومن ثم قد يؤخذ انطباع عام بأن المدن كانت كبيرة الحجم في ذلك الحين، ومن المحتمل ان سكان الحضر في ايطاليا حينئذ كانوا يشكلون ١٥٪ من مجموع السكان، وان كان لا يجب ان ننسى ان ايطاليا حينئذ كانت تعتمد الى حد كبير على الشيء الاعظم احتياجاتها من الطعام من شمال افريقيا، وان نسبة من تم تعلموا في المراعي كانت اقل بكثير في بقية مدن الامبراطورية الرومانية.

20/3/19

وبانهيار الامبراطورية الرومانية في القرن الخامس الميلادي، توقفت التجارة والتبادل التجاري بين المناطق المختلفة. وانكمش بالتالي حجم بعض المدن

بسبب هجرة سكانها وتدميرها نتيجة لهجوم البربري واختفت الحياة الحضرية من كل أوربا لفترة زمنية امتدت ثمانية قرون.

7/3/2018

ساعد انتعاش التجارة في أوربا في أوائل القرن العاشر على قيام المدن من جديد، واستعادت المدن السابقة التي كانت ذات نشاط مميز قبل انهيار الامبراطورية الرومانية، [حيويتها]. بانتعاش التجارة والمواصلات الى جانب ذلك نشأت مدن جديدة حيث توجد الحاجة لنشاطات. وجاءت تلك البقعة تدريجية. ولكن في تزايد مستمر. واعتمد التقدم الحضري لفترة طويلة امتدت حتى القرن السابع عشر، على اقتصاد يقوم على العلاقات الصغيرة البدوية التي كان يتم تبادلها مع سكان الريف لسلع استهلاكية عادية وبعض الحاجيات. ولم تتأثر غالبية السكان بالاحداث الخارجية، ذلك لان استمرار اسلوب الحياة الزراعي التقليدي وصعوبة المواصلات، وقفا عائقاً امام نمو المدن، ولم يزد حجم المدن في تلك الحقبة التاريخية عن 25000 نسمة، وكان سكان القرى الريف يكونون (90)٪ من السكان.

xxx

يتوقف النمو الحضري الى مستوى اكثر تقدماً على عدة تغيرات هامة تشمل:

① التحسن الملموس في انتاج الغذاء حتى تتحرر اعداد كبيرة من السكان من العمل الزراعي.

② تنويع وتوسيع الانتاج في الخدمات والسلع حيث ان التجارة توفر سبل المعيشة لسكان الحضر، الى جانب انها تخلق حلقة من الاتصالات، وتذيب الكيانين الثقافيين. ولكن التجارة تكون عادة محدودة قبل

قبل نشوء الصناعة. وهذا لا يعني ان اي مدينة نشأت على مجتمع حضري يجب ان تشمل التصنيع، ولكن يجب ان يتمكن على الاقل من ان يوفر المنتجات الصناعية لسكانه عن طريق التجارة.

وعموماً يعتمد الانتاج والنشاط التجاري على تكوين راس المال، وتحسين سبل المواصلات حتى يمكن نقل الغذاء، والبضائع المصنعة من المنتج الى المستهلك، كما يحتاج الى تنظيم اجتماعي معين يشمل مركزية السلطة السياسية، تأمين الطرق، توحيد العملات المالية، والموازين والمقاييس الخ....

وكانت تلك العوامل في سبيلها الى التكوين، والبعض ذات أثر واضح خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر في اوربا، وهي فترة تغير اجتماعي واقتصادي كبير يعتمد على نوع جديد من التكنولوجيا أدت تغيرات اخرى واسعة النطاق - ديمغرافية، واقتصادية وسياسية شاملة، ساهمت في تقصير المسافات وتجميع السكان الذين بدأوا يعيشون في تجمعات سكانية متناثرة في تجمعات كبيرة.

واذا انتقلنا الى القرن التاسع عشر لوجدنا ان أقل من 2% من سكان العالم كانوا يعيشون في مدن يبلغ عدد سكانها 100.000 نسمة او اكثر (24 مدينة) وكان 2% من سكان العالم يعيشون في مدن تتسع لـ 20.000 نسمة او اكثر، ولم تكن درجة التحضر في اوربا تختلف كثيراً عن بقية العالم في ذلك الحين. وفيما يلي النسبة المائوية لسكان المدن التي يبلغ عدد سكانها 10.000 نسمة او اكثر من مجموع سكان كل بلد.

مثلا :

النمسا اقل من 5 ٪
السويد " " 6 ٪
فرنسا " " 10 ٪
الجزائر حاليا 21 ٪.

بينما كان 6 ٪ فقط من سكان الولايات المتحدة الامريكية يعيشون في مدن يزيد سكانها عن 2500 نسمة.

وفي نهاية القرن التاسع عشر، كان الريف يفوج بالتضخم السكاني بسبب استمرار انخفاض الوفيات - بعد انخفاض الوفيات عام 1750 - نتيجة لزيادة الغذاء واستقرار العمليات المتبعة، وازاء مشكلة التضخم السكاني بحث المزارع في القرية استغنى لا ٪ استغناء الارض عن كثير من اليدي العاملة نتيجة لتطبيق الاساليب الزراعية الحديثة في مساحات كبيرة، ونتج عن ذلك الموقف فائض كبير في العمالة [اليد العاملة]، بدأ يتدفق على المدن، وتضاعف سكان المدن في اوربا مرتين وثلاثا خلال المائة سنة التالية، حتى بلغت نسبة السكان الذين يعيشون في مدن يبلغ تعدادها 100.000 نسمة او اكثر خلال العشرين سنة الاخيرة من القرن التاسع عشر ما يزيد على 61 ٪ من سكان انجلترا، 46 ٪ من سكان فرنسا، و 15 ٪ في كل من المانيا والنمسا والسويد، وتكررت نفس الظاهرة في شمال غرب اوربا خاصة في المدن الواقعة. وارتفع عدد المدن الاوربية التي يبلغ عدد سكانها 100.000 نسمة او اكثر من 22 مدينة في عام 1800 الى 129 مدينة سنة 1895 م وارتفعت نسبتهم الى جملة السكان من 2 الى 15 ٪ وتمثل هذه الارقام بالطبع الحجم الكلي لسكان الحضر اذ ان عددا كبيرا من التجمعات التي يقل سكانها عن 10.000 نسمة كانت ايضا حضرية.

وكان لهذا التدفق البشري على المدن ثمنه الاجتماعي مثلما مثل اي تغير اجتماعي جذري، ذلك انه بالرغم من أن كفاءة المدن كمراكز للتنظيم الاقتصادي كانت في تقدم، الا ان كفاءتها كمراكز للحياة الاجتماعية كانت في تدهور. فكان النازحون المتدفقون يعيشون في مساكن غير مهيأة في شوارع ضيقة تنقصها المرافق العامة. وحيث ان قواعد الصحة العامة، واساليب الوقاية كانت لاتزال في متخلفة، فقد زاد الازدحام السكاني، الى الحالة الصحية سوءا وعمت الفوضى المدينة لان معظم الذين انتقلوا اليها كانوا اشياعا انفصلوا عن الارتباطات الاسرية التقليدية في القرية، واضطروا الى العيش في بؤر لاتليق بآدمي ووجدوا صعوبة في الحصول على عمل تملكه ظروف العرض والطلب.

ادى هذا التجمع شبه الآدمي الى تفشي الجريمة والعنف. ولم تكن الخدمات او وسائل الضبط والتنظيم متوفرة، ولم تكن هناك قواعد تنظم ظروف العمل وتوفر اي نوع من التأمين والضمان للعامل في المنظمات الصناعية (المنظومة). وتفاقمت المخاطر المهنية والظروف الصحية السيئة على استقرار معدل الوفيات مرتفعا، بينما كانت الوفيات منخفضة خارجها، ولعلا هجرة اعداد كبيرة من السكان الى ماوراء البحار لتخفيف الضغط ووصل الى هذه الخطورة. ولم تنخفض معدلات الوفيات في المدن إلا بعد لسنوات طويلة لعوامل جديدة، وان كانت الوفيات لاتزال مرتفعة عن مثيلتها في القرية (البادية) حتى اليوم.

كانت هناك عدة مؤثرات خففت من حدة تلك العوامل في المدن الصناعية الاولى، وادت بالتالي الى عدة اصلاحات. ولكن فترة طويلة انقضت قبل ان يتعلم الانسان العربي كيف يعيش في المدينة.

وقد تعلم درساً هاما خلال فترة تأخلص الا وهو اهمية موازنة خصوبته مع ظروف المعيشة في المدينة، ومن ثم تبعت فترة النمو السكاني المتزايد، وبعد مئات السنين من انخفاض الوفيات، عقبة انخفاض مستمر في معدلات مواليد الدول الاروبية.

يعود السبب الرئيسي في انخفاض المواليد الى ان الاسرة لم تعد الوحدة الانتاجية، وحلت محلها مؤسسات العمل، ومن ثم لم يعد انجاب عدد كبير من الاطفال ذا اهمية اقتصادية بالنسبة للاسرة، الامر الذي ادى الى انخفاض معدلات السكاني في اوربا.
وقد انتقل مركز ثقل النمو الحضري الى الغرب (occident) والشمال منذ بدء التاريخ حتى نهاية القرن التاسع عشر، وتغير نمط التجمع السكاني، فلم يعد يتكون من مراكز متناثرة متباعدة ذات احجام متدرجة تتحكم في المناطق المحيطة بها سياسيا واقتصاديا - وان كانت علاقتها الاقتصادية والاجتماعية بتلك المناطق غير وثيقة - واصبح يتكون من مجموعة من المدن المتداخلة والمتشابكة التي تقوم اساساً على تكنولوجية الالة. وعلى التخصص الواسع المدى، والاقتصاد المخطط والاسواق الواسعة، واصبح اقتصادها يسعى الى التوسع وراء موارد جديدة واسواق كبيرة، واحدث الاقتصاد الصناعي التجاري تغييراً جذرياً في تلك المجتمعات.

2018/4/25 وانتشر التحضر ونما من الركن الشمالي الغربي في اوربا الى جميع الاتجاهات اينما وقعت المناطق المجاورة تحت التاثير الاوربي، وبلغ نمو المدينة الذروة في انجلترا والدول الواطئة خلال الجزء الاول من القرن التاسع عشر بينما بلغ ذروته في وسط وجنوب اوربا وامريكا الشمالية

خلال الجزء الكبير من القرن التاسع عشر، بينما نجد
ان معظم النمو الحضري السريع في قارة افريقيا، آسيا
وامريكا اللاتينية قد حدث في القرن العشرين.

وبالرغم من وجود تقاليد حضرية قديمة في
افريقيا وآسيا وامريكا اللاتينية، الا ان الاستعمار
الاجنبي ادخل اليها حديثا انماط التحضر وربما
وساعد على نشوء المراكز التجارية في مستعمراته في
العالم القديم، ومدن المستودع Ville entrepôt كما
ترجمها بعض الدارسين (رجال ممدان). ولكن تلك المدن
التي اوجدها الاستعمار في Singapour - Calcutta - Bombay
وماثيلا، وجاكارتا، وهونغ كونغ، كان لها طابع خاص،
ذلك انها كانت معزولة متجهة الى الخارج، وليس لها
تأثير يذكر على ما يحيط بها، وكان الاستعمار يختار
مواقع المدن الهامة - الميتروبوليتانية او المائة
الغنية، على اطراف السواحل، وشواطئ الممرات
المائية حتى يمكنها الانتفاع بمزايا وسائل المواصلات
ذات التحلية المنخفضة للمولات الضخمة. وتتميز
المدن التي خلقها الاستعمار بعدم اعتمادها على المناطق
المجاورة، بل على تبادل الحياة بينها وبين
المدن الاخرى. والدارس لتلك المدن يلاحظ أنها
تتشابه بعضها البعض اكثر مما تماثل الاقطار الثقافي
للدولة ككل. ولم يبد أثر يذكر لاهتمام تلك المدن بتنمية
الى خلق ارتباطات مع المناطق الداخلية بدلا من
الخارج الا بعد ان بلغ المجتمع في مجموعه مستوى
متقدما من النضوج الحضري.

واذا القينا نظرة على العالم القديم، وامريكا اللاتينية، باعتبارهما يضمان معظم الدول النامية، نجد ان المدن تنمو حاليا نموا سريعا، وبسبب تفاوت البيانات الاحصائية بين دول العالم النامي مع تفاوت اصطلاح «التجمع الحضري» بين تلك الدول في صعوبة قياس النظام الحضري، ولكن من السهولة بمكان التعرف على التجمعات التي يبلغ تعداد سكانها (100.000) نسمة فاكثر واستخدامها كمقياس للنمو الحضري. وتدل الاحصائيات على ان المدن المائة الفية نمت بمعدل 5 ٪ سنويا خلال عشر سنوات (1964-1954) ويمثل هذا المعدل ضعف معدل النمو السكاني في تلك المناطق، وقد بلغ متوسط معدل نمو المدن الكبيرة سنويا 7 ٪ مثل الجزائر وغيرها من الدول (المدن - امريكا اللاتينية وامريكيا الغربية). وعادل هذا النمو اربع الى ست أضعاف النمو السكاني في تلك البلاد.

بعض سرعة معدل النمو الحضري

يلاحظ عموما ان معدل الزيادة السريعة في سكان الحضر في الدول النامية، لا يرتبط دائما بمؤشرات التغير الاقتصادي، مثل استعمال الصناعة الآلية، ووفرة راس المال، او زيادة الفائض الانتاج الزراعي، بل ان التحضر قد سبق التنمية الاقتصادية في عدد كبير من الدول النامية، ومثال ذلك نجد:

ان بعض الدول التي تعيش نسبة كبيرة من سكانها في الحضر لا يتجاوز متوسط دخل الفرد فيها 145 دولارا في السنة، ولا تزيد حصة كل 1000 نسمة فيها عن تلفونين. بينما تبلغ حصة كل الف نسمة في الدول ذات المستوى الاقتصادي المتوسط 49 تلفونا وفي الدول المتقدمة 252 تلفون. واذا اخذنا قراءة الصحف